

## وداعاً للشاعر جودت حيدر

بغياض الشاعر الكبير جودت حيدر تنطوي صفحة بهية من الابداع الشعري اللبناني باللغة الانكليزية.

تعروني برداء سافعة، من جمر السؤال، وتدهمني صحوة راجعة، من بعيدات المنال، ألم نغفل طويلاً عن عملاق ملاء العقل وشغل البال، واجتاز صخور الغابة واتقى حريق البلبال، وعلمنا ان الصوت نشوة والصمت ابتهاج، وان الانسان موقف ومبدأ وأن الخفة مذمة والمداجاة ابتذال، نعود اليوم الى كرومه لنعيد ماء وجهنا بانعكاس ألوانه الممتدة علينا شرود اخضلال، فالיום يومه منذ كان وكنا لا مذ عزمنا على الصعود اليه عبر الجبال، ملتسمين ظل عباءته حين عز في لهيب آب فيء الظلال.

جودت حيدر، الاسم علم، والشيم نواهض، والنبل قمم، والاخلاق نوابض.

رحالة أحلام، معلي همم، مبرمج نوايا، مجسد قيم.

الشفيف العفيف، الجليّ الجليل، الممرس المضرس، جراته رجولة، وفروسيته اقدم، هويته علم، وسيماه معرفة، يستزاد منهما دون ارتواء، وبوصلته ابداع يقارب الاختراع كيلا يدع حدوداً أمام التطور الا ويحطمها، ومن هنا كان الشعر لديه خزينة فكر ومجمرة فلسفة وصبوة روح فاذا باتونه يصهرها بأعجوبة الاسطورة أشابة مدمجة.

الشفوف العطوف، الكلف الصبّ، طموحه صروح، والحدائق بواسق، منه الشاهينة والسهام، والسلوى والبسام، والمنتهى والريم والحنان، أولاده من المليحة يحدثونك عنه أكثر مما يحدثونك عن أنفسهم، وفي سرائرهم طهر من طهره، ورجاء من حدقتيه، وشعاع من نوره.

الرضى الأبى، النخبوي السني، مهما كان الطريق شاقاً فبارادته يشقه، ومهما كان الحق مغيباً فباستقامته يحقه. ما انحاز الا لعدل، وما فاه الا بفصل. دعوته محبة، وبشاشته سلام.

السمح البر، المجنح الحر، يلحظ الخير في ثنايا الشر، حتى لكأنه قادر على ان يرى الفضل في المساءة، والوصل في الجحود، والتحنان في الحفيظة. فعجباً لبصر ثاقب البصيرة، لا يسف الى شهوة ويصفح عن أقسى اعتساف.

وهكذا، حين ظلمه وطنه ظلله بظله، مؤثراً عزته على عزه، وصلاحه على صالحه، وحببيات ترابه على كنوز الدنيا. وحين غدرته السياسة غادرها غدوة، مصطفىاً عليها غدير الشعر وغدائر التأمل.

اقترب من لظى المناصب فاكتوى، فعكف على سقيا زرعه حتى ارتوى، وتعهد ثمره جنيماً حتى استوى، موطناً النفس على انه كلما اغتوى ارعوى وكلما اجتوى انضوى. فضله ان فضيلته فاضت ففضل منها أكثر مما انطوى.

ككل أصيل هو، يعمر ليخمر، ويبتلى ليجتلى. عمّره الله فانساح تطلعاً وتفكراً، وابتلاه بفقد ابنه فتجوهر حلماً واحتسب تصبراً.

ولذا فليس اللافت مديد عمره ولا قديد قامته، بل عديد همته وتعدد اهتماماته، يسابق بها الزمن حتى كلما كرت سبحة سنيه خطط للمزيد من قوادمها ونظم واحاته، كواحد من أشبّ جيل وأفتى هواته.

ولأن المرء يقاس بعلمه وعمله، بفكره وعطائه، بنواياه ونقائه، فجودت حيدر من السراة السوامق كلما ساورتهم سورة السنى سلوا سيفاً واستماتوا سمتاً وسؤدد شواهق.

أفلا يحق له اذا أن يرى لبنان واحداً من تلك الدول المتطورة حيث المناصب تعرض على المثقفين و الطليعيين، وغالباً ما يأنفون خوفاً من بيروقراطية طاحنة أو وفاء لاستمرارية أبحاث يجرونها؟ ترى متى نرى لبنان واحداً من تلك الدول المتطورة التي تضمن عيشاً كريماً ورواتب مدى الحياة لأهل الثقافة المبرزين كي يتفرغوا للانتاج الفكري والابداعي، كما تسعى الى استقطاب من هم خارج حدودها بمنحهم جنسيتها والاقامة المريحة فيها لكي يساعدوا على تطويرها وتخليدها بانتاجهم؟

جودت حيدر واحد من أولئك الذين عرضت عليهم العطايا والجنسيات والهجرة فرفض. ظل وفياً للبنان، والآن قد أن الأوان ليبادل له وطنه الوفاء محققاً بعض طموحاته: بارساء الوفاق، وتعميم الديموقراطية، وتعزيز حقوق الانسان.

سيدي الكريم: اليوم يفيك وطنك بعض حقك باعتماده قصائدك تدرس في منهاج البكالوريا، غير أنني لا أرى في ذلك منة عليك بل اقتداء بفكر من نفخ روح العرب في جسد الأدب الانكليزي وطعم غربة الغرب باشراقية الشرق.

أطلقت رؤية كونية فريدة، ولم تتشرنق في زمان أو مكان، ولم تتحذلق على شرقات الوجدان، لأن من أراد أن يتمسق ويتعملق يدرك ان الفرادة للنبوغ الناجح عنوان.

ومن أسس فرادتك أن الحس لديك جرس، والايقاع نبض، والفكرة حياة. الصوت أبدي أزلي لا يفنى، بل يتضاعف أصداء وتراجع، وكل ايقاع باق لا يضيع.

هذه توليفتك الخاصة: عمق حكمة على سلاسة تعبير، ونصاعة جوهر على وضوح تفكير. فاذا الحكمة بأدب، والفلسفة بذوق، والتأمل برهافة.

من كل خبرة أهديتنا عبرة، وعند كل ملمة جففت لنا عبرة. من غسان النجوى الى مسابح النجوم، من نزفة اللوعة الى مناكب المجد، دوما الاسم على رسم، والجسم على كسم: أسد حيدر غير هياب، وجود على جودة بلا ألقاب.

صنعت من كل محلولك أدهم كوكباً درياً يختال شمساً تشي ببشر وتحض على تفاؤل. ومع ذلك، نظامك مرصوص، وانضباطيتك حزم. مضاء مضاًوك، ومنبسطة بساطتك. فاذا اعترش الشعر، ارتعش العرش.

أما أنا فحسبي أمران: أولهما أنني تعاونت معك بصفتي أمينا عاماً لاتحاد الكتاب اللبنانيين، وبصفتك رئيساً لواحة الأدب في البقاع وعضواً في اتحاد الكتاب، في اقامة مهرجان تكريم خليل مطران عام 1995 في دارتك العامرة في بعلبك.

وثانيهما أنك ما فتئت تفرحني بقولك انك استفدت كثيراً من قواميسي وبخاصة قاموس المورد عربي - انكليزي.

وأما أنت فحسبك ايضاً امران: أولهما أن التاريخ سيصنّفك واحداً من عمالقة العرب الانجلوفون الى جانب من عولموا الادب العربي ودولوه، بل متفرداً عن جبران والريحاني ونعيمة بأنك تخصصت شعراً لا نثراً، كما سيصنّفك كسعيد عقل واحداً من قلة أهدوا حب لبنان الى العالم.

وحسبك ثانياً أن حسك حدثك فحقت حادثاته، وأن آمالك الفساح ظلت مواقف حرية وتسامح وكرامة، مواكب غد أفضل وكينونة أنبل، ولذا فاني اليوم، اذ تخادن المئة عام، لا أزال أرى فيك ألق المستقبل الآتي، فهو حدسك اللابنتهي، سلاماً ووثاماً، وسلامة بيئة، وحقوق انسان، وقبل ذلك كله ايماناً بالله تعالى وسعياً دؤوباً لنهضة وعمران ومحبة أوطان.

**الدكتور روجي البعلبكي**